عنوان البرنامج: الدراسات الاستشرافية
الوحدة الأولى: تعريف الدراسات المستقبلية وأهميتها ووظائفها
الدرس الثالث: أنواع الدراسات المستقبلية والتمييز بين التقليدي وما بعد التقليدي.
اسم المحاضر: الدكتور خالد ميار الادريسي

أنواع الدراسات المستقبلية والتمييز بين التقليدي وما بعد التقليدي.

إن السمة الغالبة على الدراسات المستقبلية هي التعدد في التعريف، والتعدد في الرؤى والمنظورات. فالدراسات المستقبلية، هي حقل معرفي ناشئ وجديد، لم يصل بعد إلى مستوى «الاكتمال العلمي» أو إلى صفة «العلم»، وإنما لازال في حالة «ما قبل العلم» prescientific[1] ذلك أن موضوع الدراسات المستقبلية هو المستقبل وهو مجال عصي عن الإدراك والامتلاك. وباعتبار تعدد منطلقات الباحثين في مجال الدراسات المستقبلية، وتعدد منظوراتهم ومناهجهم، فإن الدراسات المستقبلية ليست نوعا واحدا وإنما أنواع. وهي قابلة في المستقبل للتأثر بالصراع الابستمولوجي الدائر بين الوضعيين وما بعد الوضعيين، والصراع السياسي والمعرفي ما بين المدافعين عن المركزية الغربية والرافضين لها، أو الداعين إلى تحرير المعرفة من «تسلط» المركزية الغربية[2] ومقولاتها. كما أصبح الحديث عن دراسات مستقبلية تقليدية وأخرى ما بعد تقليدية.

1. الدراسات المستقبلية التقليدية.

إن المقصود بالدراسات التقليدية، ليست تلك الممارسات الاستشرافية القديمة التي عرفتها الشعوب من تكهن وتنجيم وطقوس سحرية وغير ذلك؛ وإنما يراد بالدراسات المستقبلية التقليدية مجمل المنظورات

1. انظر مقالة سردار:
Zianddin Sardar : The name sake : Future ; Futures Studies ; Futurology ; Futuristic ; Foresight- What's in a name ? op.cit p178.
2. Z. Sardar, Development and the location of Eurocentrism, in R, Munck, D. O'hearn (Eds), Cristal Development theory : Contributions to a new Paradigm. (Zad Books, London 1999).
Z, Sardar, colonising the future : the other dimension of Futures Studies, Futures. 25 (April (3)) (1993).

والممارسات الاستشرافية الحديثة والمرتبطة بشأن هذا الحقل الفكري الجديد، والتي تلتزم بالفلسفة الوضعية والتوجه الحداثي[3].

فالدراسات المستقبلية التقليدية تهتم أساسا بدراسة العالم الخارجي وليس العالم الداخلي للأفراد. إذ يقوم الباحثين في الدراسات المستقبلية التقليدية، بتقديم تصوراتهم واستشرافاتهم ضمن سياق معرفي وسياسي يهيمن عليه منطق المصلحة والنفعية. فالدراسات المستقبلية التقليدية، هي تحت الطلب، وليست تفكيرا متحررا من ضغوطات صناعة السياسات. كما أنها سجينة النظرة الاحادية للأمور المستقبلية، ويقول سلوتر ريشارد الذي يعد من المنظرين للمستقبليات ما بعد التقليدية[4]: «يرسم العمل التقليدي في أي ميدان جزءا جوهريا من الصورة الشاملة. وهو يعمل ضمن حدود معرفة مسبقا تبعا لقواعد محددة بوضوح، مستخدما أفكارا وطرقا معروفة جيدا. ويقع جزء كبير من فعالية المستقبليات في العالم ضمن هذا المفهوم؛ وهو يخدم احتياجات وزبائن معروفين جيدا. وتقع فعالياته في مناطق مألوفة: الشركات التجارية، أقسام التخطيط، المكاتب الاستشارية، الوكالات الحكومية وما شابه ذلك، ويغلب على العاملين ضمن هذا الأسلوب امتلاكهم شهادة جامعية أو خبرة طويلة في الطرق المستقبلية المعروفة مثل طريقة دلفي؛ وتحليل التوجهات والسيناريوهات. ويميل هؤلاء من خلال ما يعرفون به إلى التركيز على المجال الجماعي الخارجي (التكنولوجيا، البنى التحتية، العالم المادي)».

وبالرغم من الحديث حول تعدد الرؤى والمنظورات في الدراسات المستقبلية، فلا يعني ذلك انها تحتوي على «تعددية راديكالية» في الانموذج النظري «Paradigme». فهي تصورات وإن تباينت في النتائج وحتى في المنطلقات، لا تعدو أن تكون وليدة نفس الرؤية للعالم.

فالمجتمعات الصناعية وما بعد الصناعية[5] متمسكة بمبدأ التقدم[6] والذي هو من محركات الحداثة، وهو مبدأ يفرز الحاجة إلى المزيد ثم المزيد من الابتكار والتجديد.

والابتكار في عالم سريع ومتحول ومتقلب، يتطلب مجهود متميزا في استشراف مستقبل الصناعات والتجارة والخدمات وميولات المستهلكين وتداعيات السياسات العامة وبصفة إجمالية التغيرات الجزئية والكلية. ولذا فإن الدراسات المستقبلية التقليدية مرتبطة، بطبيعة إدراك المجتمعات لحاجاتها للتغير وتمثلها للمستقبل[7].

3. Wendell. B : Fondations of Future Op.cit.

4. سلوتر، ريتشارد: المستقبليات المتكاملة عصر جديد لممارسي المستقبليات. ضمن واغنر، سنثيا (تحرير): الاستشراف والابتكار والاستراتيجية. ترجمة صباح صديق الدملوجي (المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الولى 2009) ص: 494.

5. Belle, D : vers la société postindustrielle. (PUF 1976).

6. Robert, A, Nibet, History of the idea of Progress (New York : Basic Books, 1980).

7. للتوسع انظر الدراسة التالية:

والدراسات المستقبلية التقليدية هي امتداد للفكر الجيوسياسي التوسعي، المرتكز على مبدأ اكتساح المجالات المادية والمعرفية. فالمستقبل هو مجال للاستحواذ والاكتشاف[8] والضبط والقوة والتحكم.

وعموما يمكن تعريف الدراسات المستقبلية التقليدية، بأنها مجمل الجهود الاستشرافية المتقيدة بالتوجه الوضعي، والمتحيزة للرؤية الغربية وغير المعترفة بإمكانية مساهمة باقي الثقافات[9] في إنتاج فكر مستقبلي مختلف.

ويندرج ضمن هذه الدراسات المستقبلية التقليدية، الأعمال الاستشرافية التي ينتجها مختلف الباحثين في العالم والمنبهرين بالتقاليد الاستشرافية الغربية؛ والغير الطامحين إلى بناء تصورات ومنظورات تنسجم مع الخصوصيات الثقافية والسياسية والدينية لبلدانهم[10].

وتحتضن الدراسات المستقبلية التقليدية أنواعا وأنماطا، يمكن تصنيفها حسب طبيعة المعيار المعتمد. وهكذا يتحدث الباحثين عن نمطين، أحدهما استطلاعي أو استكشافي Exploratory Type والآخر نمط معياري Normative Type، ويميز بينهما الأستاذ عامر قائلا[11]: «والفرق بين النمطين هو فرق في الخطوات المنهجية في كل منهما، فبينما تبدأ الدراسة في البحوث الاستطلاعية من الحاضر، ومنه تستطيع أن تشكل وتصوغ صورة المستقبل المتوقعة أو الممكن تحقيقها، نجد في البحوث المعيارية وتبدأ الدراسة أولا برسم صورة المستقبل المرغوب في تحقيقه ومنها تنتقل إلى الحاضر، ولذلك فإن كل نمط من هذه الأنماط له أساليب وتقنيات بحث خاصة به...»

Barbara Adam and Chris Groves : Future Matters : Action, Knowledge, Ethics. (Brill, Leiden Bonton 2007). P 1-2.

ويمكن الرجوع كذلك لتفصيل هذه الفكرة في دراسة دو جوفنيل ، في كتابه:

Jouvenel. B (de). L'art de conjoncture op.cit.

8. Hammel G, PRAHALAD G. K la conquêtes de future (Interéditions, 1995)
9. Zardar : colonising the Future op.cit.
   BOWDER, B : "Futures Research and the Thirol World". Futuristics, vol 4, N°, 1980. Pp. 39 - 53.
10. انظر سردار: ماذا نعني بالمستقبليات الإسلامية؟ مرجع سابق.
11. عامر، طارق: أساليب الدراسات المستقبلية (اليازوري الطبعة 8، 2008) ص: 79.